

دیوان
سُوف عبید

ديوان سُوف عبيد



إلى الذين علّموني
إلى الذين تعلّمت منهم

الكتاب: ديوان سُوف عبيد

الكاتب : سُوف عبيد
الجنس الأدبي : شعر



الناشر: دار الاتحاد للنشر والتوزيع

20 شارع باريس تونس 1000

الهاتف: 00-216-71257591

الفاكس: 00-216-71344265

البريد الإلكتروني:

dar.allitihad@gmail.com

الإخراج الفني: حاتم بن حسين

صورة الشاعر: للفنان محمد صمود

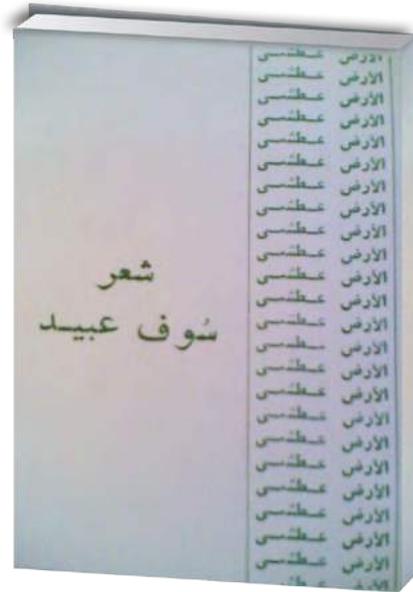
الترقيم الدولي للكتاب :

Isbn/978-9938-926-40-8

جميع الحقوق محفوظة لدار الاتحاد للنشر والتوزيع © 2017

سُوف عيد

- من مواليد سنة 1952 ببيئر الكرمة في بلد عُمراسن بجنوب تونس وتخرّج من كليّة الآداب بتونس سنة 1976 ودرّس العربيّة وآدابها بالمعهد الثانويّة إلى سنة 2012
- بدأ نشر القصائد والمقالات والدراسات منذ 1970 في الجرائد والمجلات
- من مؤسّسي نادي الشّعر بدار الثقافة - ابن خلدون - بتونس سنة 1974
- انضمّ إلى إتحاد الكتّاب التونسيين سنة 1980 وأنتخب في هيئته المديرّة سنة 1990 أميناً عامّاً ثمّ في سنة 2000 نائب رئيس فساهم من خلاله في تنظيم مؤتمر إتحاد الأدباء العرب ومهرجان الشّعر سنة 1991 وفي إصدار مجلة - المسار - وفي تأسيس فروعه وفي تنظيم عديد التّدوات والملتقيات الأدبية
- شارك في الهيئة الاستشارية لمجلة الحياة الثقافية التونسية وأسّس منتدى أدب التلاميذ سنة 1990 الذي تواصل سنويا في كامل أنحاء البلاد إلى سنة 2010 ونظّم الملتقى الأوّل لأدباء الأنترنت سنة 2009 والثاني سنة 2010
- أسّس نادي الشّعر - أبو القاسم الشّابي - سنة 2012 وترأس جمعية - ابن عرفة الثقافية - سنتي 2013 و2014 -



الأرض عطشى 1980

له

- الأرض عطشى - 1980

- نَوَّارَةُ المِلْح - 1984

- امرأةُ الفُسيْفِساء - 1985

- صَديْدُ الرُّوح - 1989

- جِناحُ خَارجِ السَّرْب - 1992

- نَبْعٌ واحِدٌ لَضِفافِ شَتَى - 1999

- عُمُرٌ واحِدٌ لا يَكْفِي - 2004

- الجَازِيَة - بترجمة حمّادي بالحاج إلى الفرنسية - 2008

- ألوانٌ على كلمات - مع لوحات عثمان بيّة وترجمته إلى

الفرنسية - 2008

- حركاتُ الشَّعرِ الجَديدِ بتونس - 2008

- صفحاتٌ من كتاب الوجود - القصائد النثرية لأبي القاسم

الشَّابي - 2009

- 2013 - حارقُ البحر -

- قصائد للشاعر ترجمها إلى الفرنسية عبد المجيد يوسف

2015 oxyde L'âme

- عاليا بعيدا - 2015

- واحدان - 2016

- القطار الذي فات - بصمات وخطوات من سيرة ذاتية 2016 .

أحببيني يا موجة البحر في العمق
إغسليني على السواحل شريحة
تحت الشمس
أحببيني أيتها القارات الخمس
يا نجوم السماوات السبع
صبي الضوء في مسام جلدي حتى
الذرة
فالأرض عطشى... الأرض عطشى
أحببيني يا خضرة غشب المقابر
أحببيني خضراء

أنا أنت أيا أرض
بين سكة المحراث وخطوط
الحراث
أحيا لحظة الدفق
بدء البذرة تنبت
أنت أيا أرض
خضرة قمر الليل في النهار
يصب في حوضي
أنا أنت أيا أرض

البدء

سريري رحب الليلة
يا أفلاك استريحي بقربي
دوري في كفي كالحذروف
يا سماء تمددي على بدني
أفصل لك من جلدي خريطة
الكون
أنت
أيتها الشمس الغائبة خضراء
هذا جبيني مسار لك

البحر يدخل الأرض من بوابات
السواحل
أكون ساعة الولوج
القمر يحرث صمت المقابر
أكون زرع الضوء
الليل يرش شجر الشوارع
أكون بدء الحلم
أول الصحو في الساحة

زورقنا أكبر من البحر

هذي يدي جناح طير

رجلي صخرة معراج

لحمي

دمي

عروقي

تربة

جدور

خضرة الشجر

تُناسل عفن الأرض

أنت الخضرة

أنت الخضرة

أنت الخضرة

أيا أرض

لا تسألني عن الخبر

فالسَّمْعُ

والبصرُ

خضرة!

الشمس على جبيني

تَقَطَّبَتِ الشَّمْسُ عَلَى جِبِينِي

تَمَرَّكَزْتُ بَيْنَ عَيْنِي

حَفَرْتُ جَمِجْمَتِي .. تَحْفَرُهَا ...

تَصْقُلُهَا

مِرَاةُ جِبِينِي

تَعَكْسُ الْعَالَمِ وَتَذُوبُ

يَا ذُوبَانَ الْعَالَمِ عَلَى جِبِينِي

نَشْوَةُ الْحَرَارَةِ عَلَى جِبِينِي

إِعْشَوْشِي

يَا طَرَقَاتِي إِعْشَوْشِي

يَا أَخَادِيدَ جِبِينِي أَنْتِي

أَسْقِيكَ دَمِي

يَا شَمْسُ

حَبَّةُ قَمْحٍ أَوْ شَعِيرٍ ... لَيْتَ أَنِي

أَوْ صَابَةَ زَيْتُونٍ

فِي وَادِي غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

الصَّيْفُ وَالشَّمْسُ .. وَالْجَفَافُ

عَمِيقًا عَمِيقًا ... الْأَشْعَةُ تَحْفَرُ جِبِينِي

بئرا

إلى قراري

يَعْشَوْشِبُ جِبِينِي

يَا ... جَفَافَ إِفْرِيْقِيَا وَأَسِيَا

أَنَا غَاطِسٌ فِي عَرَقِي

الحذاء

جَاءَ الرَّبِيعُ

سَيْشْتَرِي حِذَاءَ

جَاءَ الصَّيْفُ

سَيْشْتَرِي حِذَاءَ

جَاءَ الْحَرِيفُ

سَيْشْتَرِي حِذَاءَ

عِنْدَمَا انْقَضَى الشِّتَاءُ

تَعَلَّمُ الْمَشِيَّ حَافِيًا ...

رؤيا

كَانَ يَرَى

فِي مَا يَرَى النَّائِمُ

أَنَّهُ يَغْطِسُ فِي الْبَحْرِ

يَتَنَفَّسُ الْمَاءَ وَيُلَاعِبُ الْحَيْتَانَ

كَانَ يَرَى

فِي مَا يَرَى النَّائِمُ

أَنَّهُ يَسْكُنُ الشَّمْسَ

يَصْطَلِي وَيُصَلِّي فِي قُرْصِهَا

كَانَ يَرَى

فِي مَا يَرَى النَّائِمُ

أَنَّهُ يَغْرِسُ نَخْلَةً فِي الْبَرَارِي

تَحْطُ عَلَيْهَا الطُّيُورُ الْمُهَاجِرَةُ

... كَانَ يَرَى

لَيْتَهُ كَانَ رَأَى

الَّتِي أَحَبَّهَا ... وَتَرَكَتَهُ يَحْلُمُ

المسرجة

تَبْكِي وَتَضْحَكُ

مَثَلُهَا مَثَلُ أَضْوَاءِ الْمُرُورِ

مَسْلُوخَةٌ حَبًّا وَحُرِيَّةٌ

فِي أَرْضِنَا الْمَجْرُوحَةِ

بِقَطْرَةِ زَيْتٍ

فِي الْمِسْرَجَةِ

بِحَبَّةِ قَمْحٍ

فِي السَّنْبَلَةِ

نَقْتَبِسُ مِنَ الشَّمْسِ أَشْعَتَهَا

وَنُوزَعُهَا بِسَمَّةٍ

بِسْمَةِ

بِسْمَةِ

الضِدَّ

الشمسُ... الشمسُ
تَكَادُ تُلامِسُ السَّطُوحَ
تُجَفِّفُ الثِّيَابَ عَلَى حَبَالِ الْعَسِيلِ
يَكُونُ الْيَوْمُ أَحْمَرَ
فِي شَيْءٍ مِنَ الْبَرْدِ
يَكُونُ الْيَوْمُ أَخْضَرَ
فِي شَيْءٍ مِنَ النَّارِ
أَبْيَضَ بِيَاضًا
كَأَنَّهُ مِنْكَ وَ مِنِّي
الْيَوْمُ بِلَا ظِلٍّ
كَانَ أَنْ سَقَطَتْ الشَّمْسُ مِنْ
قُرْصِهَا
صَهَرْتَنَا الشَّمْسُ
حَتَّى عَدَدْتُ جُدُورُنَا بِاسِقَةٍ
بِاسِقَةٍ أَصَابَعُنَا
إِلَى الضِّدِّ

جَنِيَّةُ الرِّيحِ

مَنْشُورَةٌ عَلَى شُرْفَةِ الطَّابِقِ الْعُلُويِ
مِنَ الْجَنَائِنِ الْمُعَلَّقَةِ
جَنِيَّةُ الرِّيحِ تَضْفِرُ شَعْرَهَا
تُزْغَرِدُ مَعَ الصَّبَايَا
فِي هَوَاجِ الْعَشِيرَةِ
جَنِيَّةُ الرِّيحِ لَبَسَتْ الرِّيحَ
فِي عُرْسِهَا
وَطَارَتْ
مَا عِنْدِي مَوَائِدُ السَّلَاطِينِ
أَدْعُوهَا
مَا عِنْدِي مَزَارِعُ التَّبَلَاءِ
أَخْصُدْهَا
وَتَدْخِرُ جَنِيَّةُ الرِّيحِ لِلْعَامِ الْقَادِمِ
عِنْدِي مَا عِنْدِي
عِنْدِي بَحْرٌ
فِي مِحْبَرَتِي
عِنْدِي عَصَا مُوسَى
فِي مِقْلَمَتِي

أُرْشُ مِنْهَا عَلَى شَفْتَيْهَا حُرُوفِي
تَبْتَسِمُ
فَأَقْبَلْهَا قُبْلَتَيْنِ
قُبْلَةً عَلَى الْخَدِّ
وَقُبْلَةً فِي الرِّيحِ
سِنْفُونِيَّة

حَتَّى يَنْبُتَ عَلَى جَبِينِي الزَّهْرُ
ضُمِّي رَأْسِي بَيْنَ نَهْدَيْكَ
حَتَّى يَنْبِتَ الزَّهْرُ
رَأْسِي كُرَّةً أَرْضِيَّةً تَدُورُ
وَعَالِمٌ مُجْدِبٌ قَفْرُ
ضُمِّيهِ
دَثْرِيهِ
حَتَّى يَنْبُتَ عَلَى جَبِينِي الزَّهْرُ

العصافيرُ والماءُ

تَمُدُّ يَدَيْهَا إِلَى فَوْقِ
تَقْطُفُ نَجْمَةَ الْعَصْرِ الَّتِي مَا أَقْلْتُ
تَوَزَعَتْ فُسَيْفُسَاءُ الْمَسِيحِ
وَسَطَ الْمَاءِ
صَارَتْ سَهْلًا

صَارَتْ بِسَاطَا
أَخْضَرَ
أَنْتَنْ صَبَايَا الْحَيِّ أَسَائِلِكَنْ عَنِّ
وَاحِدَةً
لَوْ أَنْأَمَلِهَا الْمَاءُ
يُحِطُّ الطَّيْرُ عَلَى صَفِيرَتَيْهَا
سَاعَةَ الْمَهْجِرَةِ
تَسْتَسْقِي
ثُمَّ تُوَلِّي أَجْنَحَتَهَا
شَطَرَ الشُّمُوسِ الْبَعِيدَةِ
غَنَّتِ الْعَصَافِيرُ عَلَى رَاحَتَيْهَا
تُوقِظُهَا / تُوقِظُنِي
ذَابَتْ الزُّرْقَةُ فِي الْمِحْبَرَةِ
لَكُمْ صَبَعَهُمَا الْبَحْرُ
...وَنَحَتَهُمَا الْمَوْجُ
تَرَبَّعَ تَحْتَ الْمَنَارَةِ
ذَاتِ السِّتَيْنِ دَرَجَةً
فِي السَّمَاءِ
يُدَاعِبُ الْحَصَى
جَلَسَتْ هِيَ
بَيْنَ يَدَيْهِ

الطفل والسّمكت

في مَرَسَى الخَلِيجِ طِفْلٌ
لَمْ يَصْطِدْ سَمَكَةً
حَتَّى عَلَتِ الشَّمْسُ كَبَدَ السَّمَاءِ
وَصَارَتْ عَلَى رَأْسِهِ
كُرَّةَ جَمْرٍ

حينذاك

أَخَذَ الطِّفْلُ قِطْعَةً خُبْزٍ...

وَفِي اللَّحْظَةِ تَلَكَّ
أَحْسَّ بِالْقِصْبَةِ تَرْفٌ

فَرِحَ بِكَ أَنْتَ

يَا بَحْرُ

بَعْدَمَا عَرَّقْتَ البَحَّارَةَ

وَلَفِظْتَ الحَيْتَانَ

وَضَرَبْتَ المَرَسَى

بِالحديدِ

عصفورة

عُصْفُورَةٌ مِنَ العَصَافِيرِ
لَمْ تَأْوِ إِلَى عَشَّهَا هَذَا المَسَاءِ

جَثَمَ كَابُوسُ الدُّنْيَا عَلَى رِيشِهَا

مَضَتْ

حَتَّى انْطَفَأَتْ مَصَابِيحُ تُونَسَ

عَلَى السَّاعَةِ السَّادِسَةِ

صَبَاحًا

بَاتَتْ تَقْفِزُ عَلَى أَسْلَاقِ الكَهْرُبَاءِ

حِينَمَا مَرَّ بَائِعُ الحَلِيبِ

وَتَلَاهُ الحَبَّازُ عَلَى دَرَّاجَتِهِ القَدِيمَةِ

وَتَحَرَّكَتْ تَسْرُّ عَرَبَةٌ بَائِعِ الفَحْمِ

وَمَرَّتْ تَعُوي سَيَّارَةُ الشَّرْطَةِ

طَارَتْ بَعِيدًا بَعِيدًا

فَوْقَ كُلِّ البَنَائَاتِ

باب الجنّة

سَنَفْتَحُ فِي الجَنَّةِ ذِرَاعًا

وَذِرَاعًا

وَذِرَاعًا

مَثْنَى وَثَلَاثًا وَرُبَاعًا

سَنَزْرَعُ فِي الجَدْبِ صَاعًا

وَصَاعًا

وَصَاعًا

فَيَحْصِدُ كُلُّ الحَيَاغِ

صبيّة

لَيْلَةٌ أَجْرْنَا الشُّهُبَ

تَعَشِينَا سَوَاءً

كَلِمًا نَقَصَ التَّرِيدُ فِي الجَفْنَةِ

زَادَ التَّرِيدُ

أَصْبَحَ الصُّبَّاحُ

كُلُّ أَحَدٍ رَاحَ

رَأَيْنَا هُنَاكَ صَبِيَّةً

أَجْمَلُ صَبِيَّةٍ

فِي حُفْرَةٍ مَلَقِيَّةٍ

لا شيء يستحق الذكر

لا شيء يستحق الذكر

جَلَسَ الرَّاوِي وَاعْتَدَلَ وَبَسْمَلَ

وَحَمَدَلَ

وَصَلَّى وَسَلَّمَ

تَذَكَّرَ حُزْنَ البَلَدِ

وَضَيَّقَ الدُّنْيَا

وَنَقَطَةَ فِي سُودَاءِ القَلْبِ

حِينَمَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ

صَمَتَ بُرْهَةً

وِثَالِثَةً فَعَلَ

ثُمَّ أَخْرَجَ لِسَانَهُ

كَمَا يَخْرُجُ الدَّلْوُ الخَاوِي

مِنَ البُئْرِ العَمِيقَةِ الفَارِغَةِ

وَقَالَ

لَا شَيْءَ يَسْتَحِقُّ الذِّكْرَ

زرقاء اليمامة

إلى أمل دنقل

لَمْ تَعُدْ تُبْصِرُ زَرْقَاءَ اليَمَامَةِ

ظِلَامٌ فِي ظِلَامٍ

بَلْ غَابَ السَّمْعُ أَيْضًا

صَمَتٌ فِي صَمْتٍ

لَمْ تُحَرِّكْ زَرْقَاءَ اليَمَامَةِ سَاكِنًا

سُكُونٌ فِي سُكُونٍ

قُولُوا إِنَّهَا مَاتَتْ

وَحَطَّمُوا كُلَّ المَرَاصِدِ

الحصان الأبيض

أَهْدَانِي حِصَانَهُ الأَبْيَضَ

بِسَرِّجٍ مِنَ الجِلْدِ الأَحْمَرِ

وَالْحِجَامِ

وَرِكَابٍ مِنْ ذَهَبٍ

خَطَّ بَعْصَاهُ عَلَى الطَّرِيقِ

وقال: مِنْ هَنا

ومَضَى

هَمَّهْتُ

لاحقته... ناديته... سيدي

...يا سيدي

لم يلتفت

في المدى

تحت الشمس

رؤيدا رؤيدا

تلاشت عمامته الخضراء ؟

الراية

من أنت

أيتها الحاملة راية القافلة

لأنبك باسمي

وأقرئك لؤحي

وأجعلك دليلي

تعالى الليلة

إلى خيمتي

نتقاسم حفنة تمر

نجلس على الرمل

فأنا وأنت

في سبحة الشيخ

في ضياء النجم

في حياء النياق

أوحى إليّ الليلة من لَدُنكَ

فأنا الليلة

قد فقدت ذا كرني

المجىء في الليل

الليلة

الأماسي يبَيضُ فيها خيطُ

شارعنا الأسود

تغرق طفولتنا

في قاع منامتها السابعة

تتم الأرض في عينيك دورتها

نبقى جرحين

ما نرزا

طائرَيْن

ما رحلا

حطًا على الرمل

الليلة

أمسيت أرضي

حرفي... غيبي

ووديان سبلي

من العشق أزرع البراري مشاتل

فُل

أنت غارسة الجنائن على بعضي

ومنبته الكبريت في بعضي

و حاصدة الكل

الليلة

ساعة الحائط تدق طبول الغزو

في عرقي

ذكرت البارحة قميصًا أبيض

عسلته أمني

نشرت كتاباتي

نثرها في الريح

وحجنتك الليلة

مع الليل

عناق

ضوء بيت انطفأ

أغلقت نافذتان

تسلل إلى المقبرة شبان

بدأ الشبان يلتحمان

وتوسدا شاهدة القبر

النيل

بحر النيل أخضر

فيه الصيادون

فيه الأفلاك

فيه الأسماك في الشباك

النساء يغسلن الثياب بالطين

على الضفة الأخرى

وقصب النهر

لم يدر

أن النيل بالحزن الأزرق يجري

من زمن الفراغة

النيل لم يتكلم

بحر النيل أبكم

هناك

هناك

كانت ياسمينة

نوارها

زين الصيف في النافذة

هناك

كانت عجوز تسبح في الظل

طفل يلطمها بالكرة أحيانًا

هناك

كان السقاء يربط حمارة

يوزع الماء

في حي الفقراء

عصفور يزرق في قفص هناك



نوّارة الملح 1984

لا تقبل كما قبيل
واطلع مكان الشمس
صالح القرمادي

حتّى لئن سُرقتُ حافظَةٌ نُقوده

مرّة

ومرّة

ودخل عائداً آخرَ الشهر

بيدِ فارغةٍ

والأخرى

بلا سُكلاطةٍ فيها ولا حَلوى

هناك... الآن

حذاءٌ يقعُ على الجليدِ ببطءٍ

هناك... في المنعطفِ رجُلٌ

قد ضربهُ الزّمهريرُ

لفّ ياقته جيّداً

ودسّ رأسه بين كتفيه أكثرَ

وقتئذٍ

دمعَةُ البنتِ سالتُ على الزُّجاجِ

فصارتُ

سبعةَ أنهارٍ

تنبُعُ من قلبِ العالمِ

الجسدُ

أيها الجسدُ الخيلُ والليلُ

أجمل البنات

أجملُ البناتِ

الآنَ تنظرُ في ساعةِ الحائطِ

السّاعةُ دقّتْ ساعةَ المساءِ

هيأتْ نفسها لِضَمّةِ الوالدِ

في هذا الشّتاءِ الباردِ

قفزتُ إلى الكرسيِّ تُقربُه

ترنو من التّافذةِ

أجملُ البناتِ

تُطلُّ على أبيضِ الثلجِ

من سوادِ الليلِ

السّاعةُ الثامنةُ دقّتْ

دقّ القلبُ مرّتينِ

مرّةً للوالدِ

مرّةً للعائدِ

هُوَ الآنَ بالمحطةِ يصعدُ القطارِ

وسَطَ الزّحامِ

لا بأسٌ... إنْ تكسّرتِ الشُّكلاطةُ

في جيبه

لا بأسٌ...

صافيةٌ كالتَّبَر

وقفًا على الجسر

مرّت سيارةٌ فوق الجسر

أحسّا بلفح المهواء

مرّ زورقٌ تحتَ الجسر

أبصرًا موجَ الماءِ

صمّتًا في الجسر

حطّت كالحمامةِ

طار كالنّسر

تباعدًا عن الجسر

هُو: نحوَ التّبع

إلى التّهر

هي: صوبَ المصّب

إلى البّحر!

وافترقا من الجسر

حيثُ لا يدري

حيثُ لا تدري

غيرَ أنّهما تركا ظليّهما يدًا في يدٍ

تجريان

مع التّهر!

أيها الجسدُ النهارُ والنّوارُ

أيها الجسدُ البركانُ والطوفانُ

أيها الجسدُ الرياحُ واللقاحُ

أيها الجسدُ الثمارُ والأزهارُ

أيها الجسدُ الفصولُ والوصولُ

أيها الجسدُ الترابُ والخرابُ

أيها الجسدُ الشهوةُ والرّغوةُ

أيها الجسدُ الجسدُ الجسدُ

اشتعلُ وانطفئِ

كلهيبِ المدفئةِ

كرمادِ المنفضةِ

فأنتَ الليلةُ

رجلُ

بدونِ

إمرأه!

الجسرُ

تقاطعا عند الجسر

قادمٌ من الليلِ

ذاهبةٌ إلى الفجرِ

غامضٌ كالسّحرِ

بعد أن تنسجبي:

لستُ موجودًا!

الأزهارُ مجرّوحةٌ... ننته

الأعشابُ مداسّةٌ... يابسة

بلا نسيم هي الحديقةُ

بلا أطفال فيها يصخبون

بلا عشاق في المقاعد يتلامسون

ويتوارون في ممراتها الخلفيةِ

الأغصانُ قُضبانُ

الأوراقُ حديدُ

إخِصِفْ عليكِ منكِ

ورقِ الأحزانِ

و انزلِ هنا ...

قد يريحُ كرسيُّ الخشبِ هيكَلِ

البُورِ

و يُعرّشُ أضلاعَ الرّجاجِ

تساقطُ عليه أجرَدَ من ثيابكِ

وأنضدُ أزراركِ على الطاولةِ

حمليقٍ من وراءِ الحدقتينِ:

هلُ أحدٌ يشبهُ أحدًا؟

هل أنتَ تشبهُ ظلكَ؟

الزورقُ أكبرُ من البحرِ

إخلي معطفك قبل الجلوس

زائرتي

أم أنتِ على عجلِ

بيتي: محبًا للشّمسِ

لمثلِ دكنةِ الشّتاءِ اليومِ في الطرُقِ

وليكنْ حديثنا ذا شجونِ

في الصّوتِ سجنِ

سجنِ في المطرِ

مطرٌ على الشّجرِ

شجرٌ في المدنِ

مدنٌ في الوطنِ

وطنٌ في العفنِ

إذن:

لك الآنِ

أن ترحلي

لا تنسي معطفكِ

معلّقًا في المشجَبِ

كالسّحبِ في الأفقِ

أغلقِي البابَ جيّدًا

لا حتّى وجهك
والبصمات ؟
استرخ سيدي ... نُجومك إنكدرت
لماذا جيبك أخايد ؟
لماذا عينك غائرتان ؟
هكذا
بدون بريق
لا دمع ... لا هُذب
شفتاك مُفلّتان...
لا صوت ... لا صدى
كألهة قديمة !
فَضِقْ بالمساء والصباح
ما كان صباحك بالخير
ما كان مساؤك خيراً
لا أهل ... لا سهل ... لا سلام
أبدل عادات الكلام :
التحيّة في الرّداءة
عادة سيّئة !
كلّ الجهات صِدئة
فيّا طارق الأبواب ... دُونك
الأبواب مُوصدة

مِنْ أَيْنَ تَدْخُلُ تُونَسَ سيدي ؟
باب الخضر
قوس نصر للأغنياء
وطابور للفُقراء
باب البحر
لا بحر فيه ولا مَوْج
باب الجزيرة
مراكبه لدى الإفرنج أسيره
باب الجديد
مساميره صديد
باب المنارة
قنديله عليه ستاره
باب القصبه
باعوا قفله
أحرقوا خشبه
باب البنات
عاشق
في الموعد .. مات
باب سعدون
يفتح على السُجون !
مِنْ أَيْنَ تَدْخُلُ تُونَسَ سيدي

جامع الزيتونة
حمامه ... مع المؤذن ... صاح
فدّيح على الفلاح
والقيروان
زرايبها التمارق
في الفنادق
هدايا للسياح !
يا تونس الأُنس نامي على الأحران
أسدل سيدي...
حجاباً
على كل باب
وأُنقش بالخط المغربي
حروف الأبجدي :
عربي ... عربي ... عربي
هو المفتاح !
ربما ...
ربما تفقد حروفك وصوتك تماماً
ربما تنسى سُمرتك وبسمتك دافقة
في حضرة من تهوى
قد لا تُصيبك رعشة

وتعجز حتى عن ردّ التحيّة
مِثلها ...
بارد ... بارد ... بارد
دم ... تختر في العروق
فتدثر بلحاف الصقيع
وذوب قطعة السكر
في الأسود
وترشّف فجانك على مهل
وابر رُحك !
طوبى ...
طوبى لليد التي ما تلطّخت
إلا بالحبر
وما علقت إلا بدؤابة شعر
وما امتدت إلا
لتلقى الأحبة بالسلام !
طوبى سيدي للصدر الرّحب
حوى ما حوى
حوى واحه
وزوجي حمام
في الفضاء ... حلّقا ... حلّقا
فأبسط راحتك المباركة

على السّباخ والبراري
جبرًا وحرثًا... وبذرًا
ثم إسقيها من مقلتيك
بازغة نواصرة الملح
من كل جرح
إذن

خذ نفسًا سيدي... وتراوح
وأصمت هنيهة... هنا.. يا فتى
صامت... شامخ
مُثقل بالرؤى
نخل أنت

وعراجينك رطبة خضراء
ألا سرح عينيك لترى
قمرًا... لا سماء
شجرًا... لا مدى
سمكًا ولا ماء
مطرًا كالنبكاء
بشرًا يفترس بشرًا
في نهم!
أما كالغنم
لحمًا على وضم

دم / ألم / دم / ألم
أشلاء... في الخلاء
ترى ما ترى؟
ترى قافلة تلو قافلة
في طريق قاحلة
لا ظل / لا حبل / لا ماء
تصل / لا تصل!
سر... لا تخف
ما أحد ربت على الكتف
ما أحد يأخذ باليد
سيدي!
طريق بدون رفيق!
ترى ما ترى؟
ترى طيرًا بجناح واحد
يخلق في السحاب
تعب على أرق على سفر
يقع... لا يقع
رُبما... رُبما... رُبما!

الشهر التاسع

أيتها الزوجة في شهرها التاسع

مضت شهور الوحم
مضت أشهر الألم
فمن يكون في الرحم؟
ذكر: مشحون رجولة
أم
أنتى: مليئة خصوبة؟
بأي صيغة أخاطبه؟
بالمذكر!
بالمؤنث؟
وهل تراه يسمعي
وهل تسمعها تراني؟
آه... يا لغتي الفصحى
حروفي على لساني
مُرجرجة وجرحي
الآن...
لا تهتم صيغة القصيدة
فاللغة كالمراة.. كالعالم
مهيأة إلى ولادة جديدة
الآن
أيتها الزوجة السعيدة
تطل بطنك على الدنيا
كما تطل تونس على المتوسط

أيتها المرأة في الهلال التاسع
لا تخفي الكرة الأرضية
بواسع الملابس
لقد أزعجها الليل
بالظلام الدامس
الآن....
تستريح الخيل
كنت كالمهرة
كنت كالفارس
تهادي الآن في مشيتك
مشي الحمام
أسف... أسف
إن كان من الآلام!
أيها الجنين تعجل
لا تتمهل
لعلك تفتح الأبواب
لعلك تزرع الخراب
أيها القادم من بعيد
الدنيا عندنا بلا جديد
الطقس ضباب وسحاب
الشمس لا... في سماء
الخبز بالدماء

فاستعدُّ للبُكاء
برغم الزَّغردَةِ!
أيتها اللُّغة الجميلةُ
أهْميني وسيلةً
لأخاطبَ مَنْ في الشَّهر التاسع
كيف اختارُ له أجملَ الأسماءِ
هل أسميه مُحَمَّدًا
فيكونُ كالأنبياءِ
لا
فالعصرُ للعلماءِ
هل أسميها هندًا
ما أنجزتْ - وعدًا -
إنَّها ككلِّ الأوفياءِ
إذن
أسمي طارقَ بنَ زياد
أو الناصرَ صلاحَ الدين
أو شهرزادًا
الأندلسُ ضاعتْ
ضاعتِ القُدسُ
وما زلنا نحلمُ بالفاتحين
فالتاريخُ نفسهُ لا يُعيد

إذن
سأبحثُ عن اسمِ جديد
أيتها الجنيَّةُ في حُلْمها التاسع
الآن ... قبل فواتِ الأوان
يُمكنك أن تَضعي اللمساتِ الأخيرةَ
لعينيك - لشعرك - لشفتيك ...
يُمكنك إن شئتِ
إعادةُ التفاصيلِ الصغيرةِ
أيتها الجميلةُ ؟
هل قلتِ للمدينة : صباحُ الخير
كم ستتعبكِ التحيَّةُ كلَّ يوم
كم ستثقلُ الملابسُ كلَّ يوم
كم سيُعطلكِ الماكياجُ كلَّ يوم
كلَّ يوم...
قناعٌ... وسباغٌ... وضياعٌ
في غابةِ الحياةِ
وأخرها حُفرةٌ وكفنٌ
للمماتِ
هو الزَّمنُ
هو الزَّمنُ
يا أيُّها الجنينُ في الخلقِ التاسعِ

الآن
تختارُ مع أمكِ ملابسكِ الأولى
بالطريزةِ والأزهارِ
بيضاءَ ... بيضاءَ
كشجرةِ اللوزِ في البراري ...
غداً ... صباحاً ... على السادسةِ
إنهضُ واغسلِ وجهكِ
ثم افتحِ عينيكِ ملياً
هل ستري ما رأينا
كوناً جميلاً
وقيوداً في يدينا
إنه زمنُ الرِّداءةِ والبُوسِ
فأرفعِ رأسكِ عالياً
عندَ
سُقوطِ الرأسِ
أهلاً بكِ في هذا الكونِ الشَّاسعِ
سهلاً بكِ في هذا الدهرِ الضَّائعِ
لكِ عندي ما أقولُ
وحدِيثي يطولُ
فنحنُ الكبارُ
نُحسِنُ سرَدَ النصائحِ للصِّغارِ

ندعي تجربتها في الأعمار
ونحنُ أصفارُ على أصفار
فمُنذُ عصرِ الحجريَّةِ
لم تُوفِّرِ الإنسانيَّةُ
إلا قُبلةً ذريَّةً
للدَّمارِ
وما حققتُ شبرًا واحدًا
من الحُبِّ والحريَّةِ
للصِّغارِ!
بعدَ الشَّهرِ التاسعِ
يا مَنْ في المضارعِ
يأتي زمانٌ ... يمضي زمانٌ
ولم أخبرِ أحداً
عن وحمي
فلم يعلمْ أحدٌ
بالمي
آه... يا ولدي .. لو تدري وجعي
هو الجنينُ الآن
يتحرُّكُ بين أضلعي
فهل ألدُّ؟!

الصفائر

مرة
جئتني محلولة الشعر
يذري على الخصر
كنت
أحسست
بالورق
يرف
في الشجر
مرة
جئتني مصفورة الشعر
حبلان من مسد على الصدر
حبل للوثق
حبل للشنق
مقصوفة الشعر
جئتك مرة
تبت يدا من قص
فالذي أحس
كان
بين السياف
والمشقة...

الطين
الولد الذي لعب بالطين
جعل منها بيوتا
خيولا
وإبلا
الولد الذي جلس في الشمس
نام في المغارات
لدغ بالعقرب مرات
عد نجوم السماوات
ولد لير يكبر
برغم الشارب الغليظ
برغم خاتم البنصر
برغم الشيبة الأولى!
الولد الذي ظل ولدا
مازال يجلس في الصمت
يقف في القلق
يراقب جذرانا مشققة
خوافر مفلة
قوارس مثخنة
وهو ادج بلا زغرودة!
الولد الذي لعب بالطين

حزين حزين
جفت بسمته كالطين!
الغار
غار حوشنا القديم
مثله مثل رجم الأرض
دافى في ظلامه
أليف في صخره
لا وحي فيه
إلا... همس الأرض
في حوشنا القديم
مائدة الشاي كانت تجلس
القرفصاء
في الظل.. بيننا
مرة في الصباح
مرة في البكاء
حينما
خرجت جدتي في بياض البياض
انتظرت
انتظرت
لر تعد
في حوشنا القديم

أبي .. متربع على حصيره
حبة إثر حبة... في سبحة
صحراء في صمته
أسمر في جفته
البيضاء
أمي
عروس دائما
ما أحلى بسمتها في سواكها
بين الجمر والفنجان يدها
لماعة فضتها في سوارها
أمي
في حوشنا القديم
الشمس
ترتقي... تندرج أمامي
ثم تغرق في الرمل
النجوم
أقرب إلي من السوق
كم مرة اشترت عيناها
تصاوير بالألوان
من الأقمار
كم مرة ركبت الهلال أرجوحة

وغسلت له يديه
في إناء الفخار !
في حوشنا القديم
الشووك والحصى
أقدامي كانت الأرض
على مدى البصر
بلا حذاء .. بلا حدود
وبلا جواز سفر

المقهى

الذين جلسوا هنا
الذين يجلسون هناك
زجاج
دخان
كلام

ثم
من سئبت بصمته
بعد مسح الطاولة ؟

النملة

النملة التي تدب على مهل
على عجل
تحت الصخر وفي الحرث

تحلم بالحيفة والقمح
النملة التي تجوب المصير
والقفز
تدخل المغارة والقصر
النملة الكادحة الفالحة
بلا عطش بلا ظل
النملة التي تلتصق بالأرض
تسلق إلى الثمر
تونس في القبر
النملة التي تملأ الثغر
وتشرب العين
تدوسها القدم
بعد ذلك
تراها تمضي

ذو الجناحين

يجلس في صمته
لا يرد التحية
لا يلقي السلام
يسير في الشوارع
يشق الأزقة والزحام
يطوي جناحين إلى جنبه

خفياً حفيةً تحت ثيابه
جناح من ريش حمام
جناح من شراع سفين
مثقلاً بالمسير والرؤى
يعود متعباً منسرحاً
لا ينام
يصعد إلى أعلى سطح عمارة
يطل على الإسمنت والحديد
ثم ينتف ملابسه
يمزق الأوراق / يكسر الأقلام
همس ببعض الكلام
- ما سمعه أحد -
ثم
ينشر جناحيه
على البر والبحر
ويطير

خيول الإفرنج

عندما كان عمرها سنين عدداً
كانت
تخرج مع أبيها كل صباح إلى
الأسواق

تدفع معه العربة
وتعود...
يدها في يده مسرورة فرحة
مع المساء...
ومع الأيام
تعلمت أن تهيم في الأسواق حافية
تلاحق السياح
كان...
أن وجدت ذات يوم قدميها
في حذاء
أعطاه لها شيخ في سقيفة
بعدما
لر تحسن ربط الحذاء
في بادئ الأمر
مع الأيام
تعلمت ربط الحذاء
مشت فيه
أحست أنها والدنيا في حذاء
من إحراق الكتب
سوارى المساجد سوداء
وخيول الإسبان تربض في صحن
جامع الزيتونة
حمام جامع الزيتونة يحوم حول

السُّطوح
 ينتظرُ أذانَ الفجرِ
 لِيَلْتَقِطَ القَمَحَ
 مِنَ الصَّومِعةِ
 عندما كان عُمُرُها سِنينَ عَدَدًا
 كانت تُجالِسُ العاطلينَ في المَقاهي
 تَعْرِجُ عَنْهُمُ إِلَيْهِمْ فِي دُخانِ
 السَّجائرِ
 تَتَوَرَّعُ عَلَي أَكْفِهِمُ مَعَ أوراقِ
 اللَعِبِ
 وَتَسْرُحُ ساعَةً أو ساعَتينِ
 على ثيابِهِمُ الزَّرَقاءِ
 وَتَغيبُ...
 تَرسُمُ وَجْهَها الشَّبَحِيَّ مِنْ عَلَي
 الجِسرِ
 في المَاءِ
 - الأَسْهاكُ تَسْبِحُ كَمَا تَشاءُ -
 وَتَعوُدُ
 يَنْفَتِحُ التُّفاحُ على خَدَيِها
 أَحسَّتْ بصدْرِها ثِقَلَ الرُّمَّانِ
 وَبِزَهْرِ اللُّوزِ في عَيْنِها
 الواحِةِ

حاملةُ شُرُفاتِ القصرِ في الصَّيْفِ
 يُمِرُّحُ عَلَها التَّسِيمُ البَحْرِيَّ
 الجَواري أَحسَّسَنَ اللَّيلةَ بِالْحَرِّ
 نَزَلْنَ عارِياتٍ إلى البَحْرِ
 يَتَلَعَبْنَ تَحْتَ القَمَرِ
 وَالغلامُ الصَّقْلَبِيُّ يَتَمَلَّمُ
 تَحْتَ سَيِّدِهِ
 عندما كان عُمُرُها سِنينَ عَدَدًا
 كانت تَتَفُّعُ مَعَ النَّاسِ في البَطْحاءِ
 العَسْكَرُ يُكْرِكِرُ رَجُلًا مِنْ رَجْلِيهِ
 وَعَلَي صِغَرِها
 صَبَرَتْ عَلَي جَلْدِهِ
 تَصَبَّرَتْ إلى أَنْ قَطَعُوا لسانَهُ
 يَدِيهِ - رَجْلِيهِ - رأسَهُ
 ساءَ لَتِ النَّاسِ...
 قيلَ لها... بِالْهَمْسِ... في الأذُنِ
 عَرَفَتْ مِنْ وَقتِئذٍ حُمْرةَ الدِّماءِ
 آبارُ النَّفِطِ تَتَشَمَّسُ عَلَي الرَّمْلِ
 يَجْرِي مِنْ تَحْتِها النَّفِطُ
 قَوافِلُ البَدْوِ تَشُدُّ رِحالَها إلى
 الواحِةِ

سَكَتَ حادِي النِّياقِ
 تَمَثَّلُ لَهُ الكُتبانُ سائِحَةً آمريكيةً
 ارْتَجَلَ فِيها أَلْفَ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ
 وَأَنشَدَها لِلنِّياقِ
 وَحَدَها النِّياقُ
 تَعْرِفُ لَطَى الرَّمْلِ
 عندما كان عُمُرُها سِنينَ عَدَدًا
 كانت تَدْخُلُ البَحْرَ إلى كَعْبِها
 تُسْرِحُ خَصَلاتِ شَعْرِها في الرِّيحِ
 يَرْقُبُها الصَّيادُونَ العائِدُونَ شِبا كَما
 شِبا كَما حُمَلَةٌ بِالْحِيتانِ
 ضَفَرَتْ شَعْرِها غُصْنِي زَيْتونِ
 وَراحتُ تَضْرِبُ قَدَمِها في
 الصَّحراءِ
 تَجْرِي مَعَ الغُزلانِ
 تَلوُحُ لها بَيْنَ الكُتبانِ ظلالُ
 الواحِةِ
 وَجداوُلُ المَاءِ
 الشَّمْسُ
 الشَّمْسُ تُشْرِقُ إِذْ تُشْرِقُ
 مِنْ بَيْنِ سَعَفِ النِّخيلِ
 أَحذِيَةُ التَّلَامِيذِ سَلَخَتْها وَعَرَهُ
 الوُدَيانِ
 الطَّرِيقُ وَعَرَهُ طَوِيلُهُ إلى المَدْرَسَةِ
 قَصِيرَةً عَذْبَةً بِاللَّعِبِ
 تَرسُمُ الشَّمْسُ عَلَي جِباهِهِمْ
 بِالسُّمْرِةِ
 خرائِطُ الآتيِ
 تَجَمَّعُوا في سَوقِ القَريَةِ
 حَولَ سِيارَةِ الإِعاِنَةِ
 وَساءَ لَوا السَّائِقُ عَن مَعْنَى
 - USA -
 مَكْتُوبَةٌ عَلَي الأَكياسِ
 وَالعَلَبِ
 عندما كان عُمُرُها سِنينَ عَدَدًا
 كانت تَنْقُشُ إِسْمَها
 عَلَي حِناِ العِرائِسِ
 وَتَحْمِلُ تَحْتَ مِعْطَفِها الأَلْغامِ
 في الأَسواقِ - في زِحامِها - مَعَ
 النَّاسِ
 وَحينَما يَنْهَمِرُ عَلَي كَتِفِها اللَّيلُ
 في قَلْعَةِ النِّحاسِ
 تَرنوُ إلى الهِلالِ يَميلُ عَلَي المِئذِنَةِ

يَحْنُو عَلَيْهَا
 كَمَا يَنْحِنِي عَلَى جَفْنَيْهَا النَّعَاسُ
 فَتَنَامُ إِلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهَا
 الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ
 عَلَى أَحْصِرَةِ الْمَسَاجِدِ
 مَوْسِمُ الْحَجِّ انْقَضَى كَالْعَادَةِ عَلَى
 أَحْسَنِ مَا يُرَامُ
 حَسَابَاتُ شَرَكَاتِ الطَّيْرَانِ سَجَلَتْ
 إِرْتِفَاعًا هَذَا الْعَامَ
 مَاتَ مِنَ الْحُجَّاجِ أَلْفٌ
 دَأَسُوا عَلَيْهِمْ فِي الزَّحَامِ
 - عَادَ الْحُجَّاجُ إِلَى قَوَاعِدِهِمْ -
 - سَالِمِينَ -
 يُنْقَلُونَ حَقَائِبَهُمْ بِالْبُحُورِ
 وَاللُّوبَانَ
 مُرَدِّدِينَ وَصِيَّةَ حَارِسِ قَبْرِ الرَّسُولِ
 فِي الْمَنَامِ
 وَحَدَهُ إِبْلِيسُ يَحْمِلُ
 تَبِعَاتِ الدُّنُوبِ
 فَيُرْجَمُ فِي كُلِّ عَامٍ
 بِالْحِجَارَةِ

عندمَا كَانَ عُمْرُهَا سَنِينَ عَدَدًا
 كَانَتْ تَرْقُصُ فِي الْقِشْلَةِ عَلَى رَوْثِ
 الْبَهَائِمِ
 تَنْنَفَسُ عَلَى مَضَضِ صِنَانِ الْجُنُودِ
 كُلَّ الْعُزَاةِ مَرُّوا مِنْ مَضِيقِ نَهْدَيْهَا
 كَانَ أَنْ رَاحُوا
 لَمْ تَكُنْ تَدْرِي أَنَّهُمْ سَيَعُودُونَ
 وَتَرْقُصُ لَهُمْ عَلَى الزَّرَابِيِّ
 فِي فَنَادِقِ السُّيَاحِ
 خُبُولُ الْإِفْرَنْجِ تَهْوَى التَّرْحُلُقَ
 عَلَى الرَّمَالِ
 تَرْتَوِي مِنْ آبَارِهَا فِي الصَّبِيفِ
 تَتَمَرَّغُ عَلَى دِفْتِهَا فِي الشِّتَاءِ
 وَتَحْجُبُ عَنْهَا الشَّمْسُ بِالْغُرْبَالِ
 وَتَنَاوَلُهَا كُلُّ مَوَانِعِ الْحَمَلِ
 أَهْرَمَاتُ الْحِيْزَةِ يَقْطُرُ مِنْهَا مَعَ
 التَّارِيخِ
 عَرَقُ الْعَبِيدِ
 سَلَاسِلُ الْأَطْلَسِ تُوثِقُهَا السَّلَاسِلُ
 الْبَحْرُ الْمُتَوَسِّطُ يَحْلُمُ عَلَى أَيْضِ
 الزَّبْدِ

الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ يُتَوَقُّ إِلَى ذُرْوَةِ
 الْحُمْرَةِ
 وَالْخَلِيْجُ يَنَامُ عَلَى الْأَمْلَاحِ
 وَجَنَاتُ عَدَنَ
 تَصِيرُ إِخْضِرَارًا عَلَى الصَّحَارِيِّ
 تَسْقِيهَا مِيَاهُ السُّدُودِ
 عِندَمَا يَكُونُ
 عُمْرُهَا سَنِينَ عَدَدًا
 تَتَعَلَّمُ الْمَشْيَ عَلَى الْمَاءِ
 تَتَكَبَّرُ قَدَمَاهَا عَلَى الْحِذَاءِ
 تَتَسَّعُ خُطْوَاتُهَا عَلَى الْجِسْرِ
 تَعْبُرُ الْجِسَرَ مَعَ الْعَابِرِينَ
 عُيُونُهَا
 عُيُونُهُمْ
 فِي الشَّمْسِ

(1974)

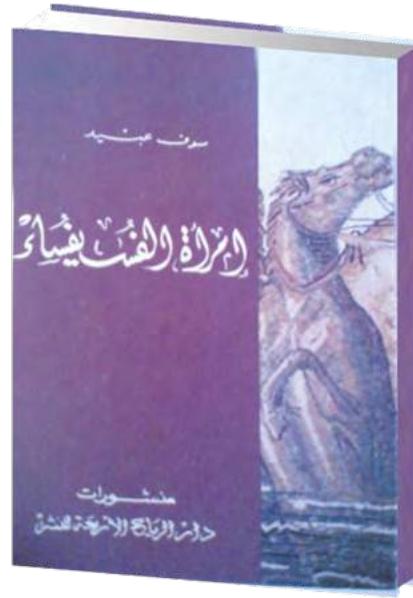
التفاحة

اللقاء الأول
 حَضَرَ مَعًا قَبْلَ الْمَوْعِدِ
 جَلَسَا وَتَرَكَمَا بَيْنَهُمَا مَسَاحَهُ
 سَبَقَ الْكَلَامُ الشِّفَاةَ

كَانَ الْوَقْتُ مَضَى
 أَسْرَعَ مِنْ دَقَّاتِ الْقَلْبِ

 اللِّقَاءُ الثَّانِي
 حَضَرَ قَبْلَ الْمَوْعِدِ أَيْضًا
 كَانَتْ الْأَصَابِعُ مُبَاحَةً
 مَدَّ الْيَدَيْنِ قَرَأَ الْكُفَّيْنَ
 لَقَدْ كَانَا تَوَآمِينَ
 حِينَمَا إِفْتَرَقَا فِي السَّاحَةِ
 إِتْصَقَا
 وَصَارَا نِصْفَيْ تَفَاحَةٍ

 اللِّقَاءُ الثَّالِثُ
 خَلَعَا خِرْقَ الدُّنْيَا
 لَيْسَا أَوْرَاقَ الْجَنَّةِ
 كَانَ آدَمَ ... كَانَتْ حَوَاءَ
 وَ أَكَلَا التَّفَاحَةَ ...



امرأة الفئسفاء

1985

أحوالُ يوسُفَ اليقظان

أيها الشيخُ
لِمَ لَمْ تُودِّعْ عزيزك جيِّداً
ومَضَى دُونَ وصيَّةِ

هو الحبيبُ ما بَرِحَ بينَ يديكَ
يَمْرَحُ ... و العابُ
هل أَبقى في لِحيتِكَ بعضَ لَمْسَةٍ
هكذا دُونَ وداع
يُفارقُ الأحبابُ

أيها الشيخُ
وليدُك قد نأى

وكم سَيُطَوِّحُه العذابُ
فَضُمَّ إليك قَميصَه ضَمَّةً
لا تَحْشَ أن تَكسِرَ له الضُّلوعَ
أَمسَتْ خاويةً من يوسُفَ
هي الثَّيابُ

وقل: ما يقوى على يوسُفَ ذئبٌ
ولكنْ

بعضُ إخوته ذئابُ
زمنٌ مَضَى / زمنٌ أتَى ...
أوَّلُ الشَّهرِ اليَوْمَ

انتظرتُ دوري ساعتين
لأَتَسَلَّمَ الرَّاتِبُ
يا وقتنا الضَّائعُ
يا جيلنا الخائبُ
وغداً

عيدُ ميلاد ليلى
- فَيَسُّها والمتاعِبُ -

أختارُ هديَّةَ لها
لعبةً لابني زياد

رُوتينُ العملِ / ثرثرةُ المقهى
معدرةً يا يوسُفَ إن تشاغلْتُ عنكَ
بالمالِ والبنينِ / زينةُ الدُّنيا

لكنَّ الذي في القلبِ / في القلبِ
معدرةً يا يوسُفَ

إذ تركتُكَ في الجُبِّ
يُبَلِّلُكَ الماءُ / أمامَكَ الحجرُ

والترابُ
وسِتُونُ ذراعاً في الغياهِبِ متوالية

كَمْ هيَ الأرضُ الآنَ فوقَكَ عميقةٌ
وعاليةٌ / عاليه

ترنُّوا إلى السَّماءِ
فإذا السَّحابُ سحابُ

وإذا الأحد عشرَ كوكبا
والشمسُ والقمرُ
كأنها لك ما سجدت
الليلة أقلت
وركعت أنت وبكيتت
يوسفُ ... أسكن قلب الأرض
وأنصت إلى التنبض
يدق في الليل
يدق للنهار
هذا الدلو نازل
يوسفُ إصعد
تأخذك السيارة / يأخذني القطارُ
أدخل العمارَةَ... أدق باب شقتي...
تفتح لي كالعادة قبلتان
— ... اليوم أيضاً
— ... معذرةً
أخلع حذائي .. ساعتني
أعلق رأسي على المشجب
أضع مكانه المخدة
أتجول وحدي في خيالاتي السرية
تبرغ عينايا على سقف الحجرة

... يوسف / جمال / شباب
إمرأة العزيز التي أنت في بيتها
هيت لك
وموصدة أمامك الأبواب
سريراً ناعم / أعناب
نسوة المدينة كلهن زليخة
يقطعن أيديهن
ليكن ما يكون
الأرض من الدم مادث
والتي قطعت قلبك غابت
ما جاء منها جواب / حرس دونها
وجراب
يوسف الآن
وجهاً لوجه مع السجان
يفتح عليه باباً / ينلق عليه باب
السجن أرحب من المدينة
ما الفرق بين الزنانية والعمارة
وحيد يوسف في الظلام
يحتلك الآسى
لا تحملك البحار / لا تسعك
النساء

تقول للأصدقاء :
يا أصدقاء .. هل نحن أصدقاء !
ترنو بعيني يوسف في الفضاء
رداءة وخراب
يوسف نبئنا بما نرى
سنابل الأغنياء / تلتهم سنابل
الفقراء
تقول
سيكون الناس سواء سياء
كسنابل الزرع
سيكون ديكور الدنيا ليس
كالعادة
وربيع بعد الشتاء
ستأتي التي لا بد أن تأتي وستسقط
الأرباب
يا سائل دروب العاشقين
دماء العشاق جواب
وسجنك يا يوسف سجن
حمامة أبي فراس قُربك تنوح / لا
أمل أمامك يلوح
ضاقت بك البيداء
نسيبت الخيل والليل

حضر البكاء
توسد يوسف يدك
ونم
أعدل ساعتني قبل أن أنام
قطار السابعة لا يرحم
تناول ليلى زياداً رضاعته الأخيرة
ثم تأوي إلى صدري
قطعة أليفة
ننام ...
مساء الخير / قلت ليوسف بالحزن
صباح الخير / قال يوسف ...
لرفاق السجن ...
النخلة
التي وهبت حليها للشاعر
سلت خاتمها
قالت تفضل
نرعت سوارها
قالت تفضل
فتحت عقدها
قالت تفضل
ثم حلت شعرها وقالت للطيور

أَدْخِلِي الْآنَ بَيْتَ الْقَصِيدِ...
 أَيَّتُهَا الْهَيْفَاءُ
 شَامِحَةٌ أَنْتِ فِي جَلَالِكَ
 مُتَجَدِّدَةٌ فِي عَطَشِ الصَّحْرَاءِ
 فَكَأَنَّمَا أَنْتِ ضَارِيَةٌ فِي شَجَنِ
 الْقَلْبِ
 وَمُنُورَةٌ قُبَّةَ السَّمَاءِ
 بِالْأَخْضَرِ
 مَتَلِّكِي مِثْلَ الْأَمَلِ
 إِنَّكِ أَنْتِ ... أَنْتِ
 بَرِغَمِ الْقَحِطِ
 كَمْ مِنْ رِمَاحٍ عَلَيْكَ انْكَسَرَتْ
 كَمْ مِنْ رِيَّاحٍ عَلَيْكَ رَحَفَتْ
 وَيُمِطِرُ السَّحَابُ
 أَوْ لَا يُمِطِرُ السَّحَابُ
 فَقِيرَةٌ أَوْ جَائِعَةٌ
 لَسْتَ ذَلِيلَةٌ وَطَامِعَةٌ
 أَيَّتُهَا النَّخْلَةُ الصَّامِدَةُ
 مَا سِرُّ خُضْرَتِكَ الْخَالِدَةِ؟
 تَمِيدُ الْبُوَادِي / لَا تَمِيدُ
 أَمَامَكَ بِيَدٍ / خَلْفَكَ بِيَدٍ
 جَرِيدُكَ يَبْسُ

يَحْيَا الْجَرِيدُ
 لِكِ اللَّهُ أَيَّتُهَا النَّخْلَةُ
 وَمَلَكَوْتُ الْأَرْضَ
 وَالْفَضَاءَ
 الطُّيُورُ الْمُهَاجِرَةُ
 وَالْغُرَبَاءُ
 الْعَاشِقُ الْجَرِيحُ أَتَى
 وَأَنْتِ امْرَأَةٌ ... لَا مَرُودٌ وَلَا حِنَاءُ
 بِرُمُوشِكَ الْمُدْبَبَةِ
 مَرُوحِي سَلَامًا
 فِي صَمْتِكَ الصَّاحِبِ
 أَوْحِي كَلَامًا
 وَجَدَائِلِكَ الْمُظْلَلَةَ
 اجْعَلِيهَا خِيَامًا
 لِمَجْمَعِ الْعُشَاقِ عِنْدَ خُضْرَتِكَ
 يَجْتَمِعُ
 أَوْ لَوْ تُسْنَدِي جِذْعَكَ لِلْعِذْرَاءِ
 وَاهْتَزَزَتْ لَهَا
 فَاسَّاقِطُ التَّمْرِ
 أَيَا حَاضِنَةَ الْأَنْبِيَاءِ
 كَمْ قَاسٍ هُوَ الدَّهْرُ عَلَى الشَّعْرَاءِ!

يَا أَيَّتُهَا النَّخْلَةُ
 عَلَى صَدْرِكَ الْبَلْحُ يَتَأَرْجَحُ
 وَوَسَطَ جِذْعِكَ الْمُمْتَلِئِ
 رَحِيقٌ عَذْبٌ صَافٍ
 مَا أَشْهَاهُ الْقَدْحُ
 فَاسْقِينَا يَا خَلِيلَةَ
 وَعَلَمِينَا
 كَيْفَ يَنْجَلِي الْحُزْنَ
 مَتَى يَهَبُ الْفَرْحُ؟
 يَا نَخْلَةَ الشَّعْرَاءِ
 لِكِ الصَّبْرِ / لَنَا الْجَمْرُ
 يَسَاقِطُ التَّمْرُ
 وَلَنْ
 يَسَاقِطَ الشَّعْرُ!
الأرض
 سَنَجْلِسُ لِلْأَرْضِ
 نُسْرِحُ أَعْشَابَهَا
 نَسْأَلُ سَاعَةً عَنْ أَنْعَابِهَا
 نُزِيحُ الذَّبَابِ
 عَنْ أَهْدَابِهَا
 نُرَاحُ نَوَارَهَا الْبَرِّيَّ بَيْنَ الْأَصَابِعِ

ثُمَّ نَصُمْتُ ...
 كَصُرَاخِ الْأَرْضِ!
البحر والناس
 الْحَوْتُ نَزَحَ عَنِ الْبَحْرِ
 الصَّيَّادُونَ بِلَا سَمَكِ
 بِلَا شَبَكِ
 عَادُوا ...
 الْحَوْتُ زَحَفَ عَلَى السَّوَاوِحِلِ
 صَخْرَهَا وَرَمَلِهَا
 الْحَوْتُ يَنْتَشِرُ فِي الْبَطَاحِ
 الْحَوْتُ يَنْتَفِسُ الْهَوَاءَ
 يَطِيرُ!
 ذَاتَ صَبَاحٍ
 بَعْدَ الْأَذَانِ بِقَلِيلِ
 انْفَلَتَ الْمَوْجُ صَاحِبَا
 كَالْبَعِيرِ الْهَائِجِ
 أَلْقَى بِالْمَرَكَبِ فِي الشَّوَارِعِ
 تَنَاطَرَتْ قِطْعًا قِطْعًا مَعَ السَّيَّارَاتِ
 وَالزَّجَاجِ وَالْبِضَائِعِ
 قَالَ لِلنَّاسِ التِّيَامَ:

صباح الخير ...
ثم عاد البحر... إلى البحر

البرتقالة

تُقشّر ين برتقالة المساء
لظفرك شبه السكين
للدنيا مثل الدم
ناولتني برجا / ناولتك برجا
ترشفتنا العصير ...

حصنا حصنا

فتحنا أبواب الجزيرة
ثم نصبتك أميرة
من الماء / إلى الماء !

البركة

الناس الطيبون... طيبون
يدعونك إلى فنان شاي
تحت شجرة
يقطفون لك من ثمرها
ثمره
الناس في بلادي طيبون
مازال فيهم البركة
يساعدون الشيخ الضير

يناولونه صدقه

يحبون الأعراس والأعياد

الحياة... والحركة

يدعون القادم الغريب : عمي

ينادون المرأة المسنة : أمي

الأطفال مرحون صابون

من المدارس ينطلقون

كالنجمه المؤتلقه

مازال في شعبي البركه

يخرج هائجا مائجا

ينفجر... كالقنبلة

لا يستجدي خبزا

... يعلمنا كيف نزرع السنبله...

الجنوب

الشمس في الجنوب تطلع من الرمل
كل صباح تسقيه من حمرته
صبيبة صحراوية العينين
فيها نبعان
تخرج كل صباح إلى الكنان تحلم
تحلم بغيمة على الرمل
خفيف، لطيف لمس خطاها

للرمل

لذيذة ساعة الحلم

أفاقت على الشمس توحز وجنتيها

أزاحتها يديها

والرمل يزحف، يزحف على

الجنوب

في الجنوب ولد أسمر الجبين

تنعكس الشمس عليه

يخرج إلى الصحراء كل صباح

يجري مع الغزلان / يكاد يسبقها

بعد السباق يتربع على الرمل يلهو

بالرمل

يهندسه جداول... أنهارا

والرمل يزحف

يزحف على الجنوب ...

شمس الغروب

تتوارى

كالجمرة تسقط في الرمل...

الشتاء

الشتاء

يتفتح المطر فوق الرؤوس

سحابات

حمراء

زرقاء

خضراء

الشتاء

أقدام تمشي على الزرابي

وأقدام

... في الطين

..... والماء

الكرسي

اجلس في كرسيك بهاء على بهاء

قد بايعتك على إماره قلبي

خذ بمقاليد الدنيا

ر خطوط الألوان لأول مرة:

الأحمر

لون الدم في الأرض

بعضنا أنيابه

في رقاب بعض

الأزرق

اجعل من كرسيك زورق

خذ معك الأطفال

طفلين طفلين

أما نحن

فأدعُ لنا بالطوفان

ودعنا نغرقُ !

الأخضرُ

يابسُ غصنُ الزيتون

جدبٌ وقحط

الشمسُ

بازغةُ

ذاك شعاعُها

في العيون

الأسودُ

الآن

أغمضُ عينيك

حرامٌ أن تُلطخَ رُموشَكَ

ورُموشَ الأطفال

بالأحزان !

أناقة

أيها الرجلُ الأنيقُ

بقميصِكَ الأبيضِ

برباطِ العنقِ الأحمرِ

بحدائكِ الأسودِ اللماعِ

ما أنتَ إلاَّ

هيكَلٌ من فحمٍ

وفتيلُ

على صدركِ يشتعلُ

وقدمُ حافيةُ

تسيرُ على شظايا الزجاجِ!

أناملُ الزَّهر

افتحي نافذةَ البيتِ

ثم أدلي بيديكِ إلى العُشبِ

يُطوّقُ البُحيرةُ

أناملكِ في الماءِ

كمنُ وضعَ في القهوةِ

قطعَ السكرِ !

انتظار

الآنَ

الساعةُ الواحدةُ سَهراً

وتسعةُ وخمسونَ أرقاً

نازلٌ بالمظلةِ هو القمرُ

على نافذتي حطَّ

رفرفَ جناحاً

وبعضُ صُور!

أسمعُ أناملكِ تنقُرُ البابَ

بالسَّلامِ والمحبةِ / أهلاً / يومُك

سعيد

أفتحُ البابَ ... أغلقُ البابَ

أهلاً وسهواً

أنتِ كلاً ...

ساعي البريدِ !

انطلاقاً

لا تحبسي الشمسَ

بين عينيكِ / أمحها

يا شمسَ القُضبانِ / انبثقي

انطلقي

كالعادياتِ ضبِحاً

كالمغيراتِ صُبِحاً

جامحةً كاسحةً

مُؤلولةً مزلزلةً

هَشَمي الزجاجِ

إرفعي الأمواجِ

لا خوفَ مِنَ الطوفانِ

بعد الغرقِ

انطلقي

الخيمةُ في الرِّيحِ نَشْرَعُها

على خيوطِ الشَّفَقِ

انطلقي

نَفْتَحُ مَدُنَا

نرُسمُ وطنَا

والنَّسْجُ في الورقِ

انطلقي

فرحاً على الحُزنِ

خِصْباً على القحطِ

مُباركةُ أنتِ

فإنَّكِ

قربانُ على الطَّبَقِ!

خوريّة

في بهرةِ الشمسِ

أرى الجميلاتِ في لحافهنَّ

يحملنَ قِلالَ الماءِ

بينَ شمسٍ وظلِّ

و يتَّقينَ سَعْفَ النَّخيلِ

فيزغردُ في العُرجونِ البلخِ

هو الفرحُ ... هو الفرحُ

أَيْتُهَا الحورِيَّةُ يا ابْنَةَ الواحَةِ
حُبِّي هذا الذي
لَمْ تَسَعُهُ السَّمَاوَاتُ
والأَرْضُ
لكنَّهُ سَكَنَ
في شِبْرٍ واحدٍ من ظلالِكَ...

رَجُلٌ

رَجُلٌ عِنْدَ سَفْحِ جَبَلٍ
يُكْسِرُ حَجْرًا
حَدَّثَ نَفْسَهُ قال:
ليتني كنتُ الجبلُ
كان...

مَرَّ سَحَابٌ بَلَلَهُ
قال الرَّجُلُ / الجبلُ
ليتني كنتُ السَّحَابُ
كان

هَبَّتْ رِيحٌ
قال الرَّجُلُ / الجبلُ / السَّحَابُ
ليتني كنتُ الرِّيحَ
طار
عندما هدأتِ الرِّيحُ

حَطَّ
رُويِدًا
رُويِدًا
عند السَّفْحِ!

سَنَةٌ أُولَى بِيروَتِ

علاءُ الدِّينِ... مصباحُه... ما أضَاءَ
وما لآحَ الصَّبَاحُ
علاءُ الدِّينِ على بساطِ الرِّيحِ
يَشُقُّ السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قُرْفُصَاءَ
ويُسَبِّحُ بالياقوتِ
صلاحُ الدِّينِ...
ما أوقفَ حملاتِ الإفْرِجِجِ
هاهي جحافلُ
فوجًا بعد فوجٍ
تتفسَّحُ من - الدَّارِ البِيضاءِ -
إلى - الدَّارِ الخِضراءِ -
ومن سِيناءِ... إلى بِيروَتِ
زرقاءُ اليمامةِ...
عينُها الزَّرْقَاءُ
عَصَّتْ طرفًا عن الأعداءِ
وَبِطْرَفِ غَمَزَتْ

هيَ تلكَ التي تَتَمَشَّى على حافةِ
المَسْبِحِ
بُشُورِ الجِينِزِ
والنظارةِ السوداءِ
تَتَمَتَّعُ بالصَّيْفِ قبل أن يفوتَ
الحِلاجُ
جُبَّتْهُ خاويَةٌ ما احترقتُ
معروضةً في الواجِهاَتِ
مُطْرَزةً بالخزِ و القَزْرِ
مُوضَةٌ هذا العامِ
تتزيَّنُ بها السَّائِحَاتُ في السَّهَرَاتِ
ثورةُ الزَّنجِ.. هل وقعتُ!
كذبَ المُوَرِّخونَ... وإن صدَّقوا
ألم تر العبيدَ والعمالَ والفلاحةَ
يزدحمونَ في الطَّرِقاتِ... في
القطاراتِ
ليلحقوا بالقوتِ
بعضُهم يقتاتُ
بعضُهم يموتُ!
طارقُ بنُ زيادٍ... هل فتحَ
الأندلسَ!

ها هو في التلْفزيونِ
مَزهُوٌّ بالنياشين اللماعةِ
أمامَهُ الجنودُ في سلامٍ
يمينُ شِمالِ
واحدُ إثنانِ / واحدُ إثنانِ
كلَّ حَرْبٍ بخُسرانِ
كلَّ حاكمٍ بطغيانِ
السَّجْنُ أمامكم والرِّصاصُ
وراءكم
ويقرأ: فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبانِ
إخوانُ الصِّفاءِ... رسائلُهم... ما
وصلتُ
الطَّرِيقُ انقطعتُ
المدائنُ سقطتُ
كالبُنيانِ المشقوقِ...
بعضُه يُسقطُ بعضُه
زمنَ المِللِ والنَّحلِ
زمنَ الطوائفِ والعشائرِ
والجوارِي والدُّولارِ...
فالعنكبوتُ في كلِّ البُيوتِ
من غرناطة... إلى بِيروَتِ!

سهرة

زياد
لم يتناول من رِضاةِ البارحةِ
قطرة واحدةً
أعلن الصّراخ على اللّيل ...
هل كانت الرّضعةُ مالحةً
هل كانت الحلمةُ شحيحةً
أو جارحةً !
أم أنّ الأرض
عليه وضعت أوزارها
وقذفت من صدرها
في قلبه
أسرارها
ثم حطت بين يديه
تدور
وهي تنور

طيور اللّيل

الليلة
بهيكلي أهوي
أقذف رأسي من علٍ
الليلة

أدخل أحلامي في حذائي
حذائي الغارق في الوحل
على السرير الوثير... الأبيض
الليلة
الأبواب والنوافذ مفتوحةً
مفتوحةً على القطب
الجنوبي / القطب الشمالي
يا رياح هبّي
تمزقي يا ستائر
ارتطم يا خشب
وانكسر يا زجاج !
الليلة
مصايح البيت جميعاً أنرتها
لتأوي إليّ طيور اللّيل...

غياب

كلّ الذين أحببتهم
أقاموا صدورَ مطيّهم
رحلوا
فإن طال غيابي مرةً
وجئتُم بيتي في زورةٍ
لا تصطفّوا على الجرس

فراق

التي أحببتُها
خبّلت شعرها بالليل
مَشطتهُ
بخيوط القمر
تتأثر الزهرُ على الرّمْل
التي أحببتُها
ولجت رويداً رويداً
في البحر
عقدت لها موجتين
على الخصر
ثم انسابت سمكةً

لا تطرفوا الباب
لا تحشروا عيونكم
بين شقوق النوافذ
جذبت كلّ الستائر
غلقت عليّ بسبعة مفاتيح
جعلت بيني وبين العالمين سداً
فإن طال انتظاركم
لا تمكثوا على العتبة طويلاً
عودوا من حيث جئتم
شكراً
دعوني أرجوكم
على تعبي
أستريح!